

الأسرة الجزائرية وتغير منظومة القيم - قراءة سوسيولوجية-

The Algerian family and changing the value

-system Sociological reading

د. بوالشرش نورالدين ، جامعة باجي مختار عنابة

تاريخ القبول: 2019/12/20

تاريخ الاستلام: 2019/10/3

ملخص:

ان التغيرات التي عرفتها الأسرة الجزائرية شملت الخصائص والبناء والوظائف وأنماط التفكير والعلاقات الاجتماعية بين مختلف العناصر المشكلة للنسق الأسري، وبالتالي تغير النسق القيمي، حيث تعتبر القيم المحددات الهامة للسلوك الاجتماعي، والأسرة الجزائرية على غرار باقي الأسر في العالم العربي فإنها تسعى للمحافظة على نسقها القيمي وما يحدده من معايير والتزامات يفرضها على أفرادها، لكن بعد التحولات الاجتماعية والاقتصادية ظهر نوع من التغير القيمي أثر على تماسك الأسرة الجزائرية

كلمات مفتاحية: الأسرة الجزائرية، منظومة القيم، المجتمع الجزائري

Abstract

The changes that defined the Algerian family included characteristics, construction, functions, patterns of thinking and social relations between the different elements of the family pattern, and consequently the change in the value system, where values are important determinants of social behavior, and the Algerian family, like other families in the Arab world, seeks to maintain its values. It is determined by the criteria and obligations imposed on its members, but after the social and economic transformations emerged a kind of values change has affected the cohesion of the Algerian family

Keywords: Algerian family, value system, Algerian society

مقدمة:

تعتبر الأسرة أهم مقومات الوجود الاجتماعي في المجتمع الجزائري، وهي النظام الأهم ضمن مؤسسات التنشئة الاجتماعية، فهي أول من يتولى اعداد الفرد ليكون كائنا اجتماعيا، اذ من خلالها يتم نقل القواعد ومعايير السلوك وتحويل الفرد من كائن بيولوجي الى كائن اجتماعي. فمؤسسة الأسرة هي من يتحكم في نجاح عملية التنشئة الاجتماعية بما تضمنه من علاقات وتفاعل بين أفرادها.

كما تبقى الأسرة على غرار بقية البنى الاجتماعية الأخرى عرضة لعملية التغير الاجتماعي، فتغير بنيتها ووظائفها هو في الواقع نتاج لعملية التغير الذي يمس المجتمع من خلال اقتصاده أو الحياة الاجتماعية والثقافية السائدة فيه، ما يعني

تغير الحياة الأسرية بشكل عام . وبما أن الأسرة كمؤسسة اجتماعية حاملة ومنتجة للقيم فإن أي تغيير يمس بنية ووظيفة الأسرة فإنه سيؤثر حتما على نسق القيم المرتبط بها .
فالأسرة الجزائرية تشهد حاليا العديد من الاختلالات في بنيتها ووظيفتها تبعا للتغير الحاصل على مستوى النسق العام للمجتمع، مما يقودنا الى طرح التساؤل التالي: ماهي العوامل المؤدية الى تغير منظومة القيم في الاسرة الجزائرية؟

أولا : ماهية القيم:

تعتبر القيم خاصية من خصائص المجتمع الإنساني، فالإنسان هو موضوع القيم ، حيث تعتبر عملية اجتماعية تختص بالجنس البشري عموما وتشتق أهميتها ووظائفها من طبيعته وجوده في المجتمع ، فلا وجود للمجتمع الإنساني دون قيم، فهما ظاهرتان متماسكتان أشد التماسك ويشبههما كروبيير (Kroeber) بأنهما كسطحي الورقة في تلاصقها ، فإذا محونا من أي مجتمع إنساني قيمه ، فإننا بذلك نكون قد سلخنا عنه بشريته، وتشكل دراسة القيم أهمية خاصة ، كونها تمثل الملامح الأساسية لضمير المجتمع ووجدانه ، وفي تشكيل ضمائر أفراد المجتمع ، وهي في هذا السياق تهدف إلى تنظيم السلوك والحفاظ على وحدة الهوية الاجتماعية وتماسكها¹

وبشكل عام تمثل القيم إطارا مرجعيا يحكم تصرفات الفرد و الجماعة ، وبالتالي فإن دورها يتمثل في تكوين شخصية الفرد ونسقه المعرفي ، وتشكل الطابع القومي أو الشخصية القومية . وعلى الرغم من أهمية موضوع القيم (values) إلا أنه ظل لفترة طويلة خاضعا للتأملات الفلسفية التي أحاطته بنوع من الغيبية بعيدا عن الدراسة العلمية الواقعية ، ويعزو البعض تأخر الاهتمام بدراسة القيم إلى الاعتقاد السائد لدى علماء النفس والاجتماع عموما ، آنذاك أنها تقع خارج نطاق الدراسات الأمبريقية التجريبية ، كما أنها لا تخضع للقياس²

وفي بداية الثلاثينيات والأربعينيات من القرن الماضي أخذ الاهتمام بدراسة القيم ينحو إلى المزيد من الالتزام بالمنهج العلمي ، ولعل الفضل في ذلك يرجع إلى اثنين من علماء النفس هما : ثرستون (thurstone)، وسبرانجر (spranger) واستمر الاهتمام بدراسة القيم تدريجيا داخل مجالات علم النفس والاجتماع عموما لعدد من الأسباب أهمها : أن النظرية الكفاء في تفسير السلوك الإنساني والتنبؤ به يجب أن تتضمن موضوع القيم ، كذلك يمكن من خلال دراسة القيم ، وفي أي مجتمع من المجتمعات تحديد الأيديولوجية أو الفلسفة العامة لهذا المجتمع³.

كما وردت كلمة "قيمة" value في اللاتينية وهي مأخوذة من الأصل اللاتيني valeo ، واستخدمها الفرنسيون في العصر الحديث للإشارة إلى اسم النوع من الفعل "قام" أو وقف أو اعتدل أو انتصب كما استخدم الشعراء هذا المفهوم لإبراز بعض المقومات الخاصة بالشجاعة والكرم⁴

والقيم هي الحكم الذي يصدره الشخص على شيء ما مهتديا بمجموعة من القواعد والمعايير التي وضعها المجتمع الذي يعيش فيه والذي يحدد المرغوب فيه والمرغوب عنه من أنماط السلوك .

وتناول "محمد الجوهري وآخرون" القيم في معجم لغة الحياة اليومية فكلمة قيم "تعني شخص ذو مكانة ويحسن تصرفاته ويعتني بهيئته وهندامه ، وكلمة قيمه سمة تقال للإشارة إلى شخص ذو هيئة وهندام منسجمين وللإشارة إلى شخصية مؤثرة.⁵

و يرى "رالف لينتون" ralf linton " أن مصطلح القيمة يتضمن عدة معاني تختلف باختلاف السياق أو المجال الذي يستخدم فيه ، وإذا أغفلت الاستخدامات التقنية والفنية للمصطلح في علوم الاقتصاد والرياضيات والفن و ... الخ ، ستظل هناك قائمة طويلة من المعاني ، وأشار "لينتون" إلى أكثر معاني القيمة شيوعا وهو أن القيمة هي أي شيء يحمل أي قيمة أو أي شيء إيجابي وطبقا لهذا فإن القيم هي أي شيء يمكن أن يؤثر على قرارات الفرد في مواقف الاختيار.⁶

واعتقد "روبن ويليامز" robin williams " أن القيم تشير إلى الاهتمامات والمطالب والأهداف والحاجات وما يكرهه الناس وما يجذبهم ومختلف الأنواع الأخرى من التوجهات المختارة.

وعرف "كلايد كلاكهون" clyde klachohn " القيم بأنها تصور صريح أو ضمني خاص بفرد أو مميز لجماعة عما هو مرغوب فيه ويؤثر على الاختيار من بين البدائل المطروحة من أنماط ووسائل وغايات الفعل⁷

و يرى "ايكه هولتكرانس" أن القيمة هي الدافع الإيديولوجي الذي يؤثر في أفكار الإنسان وأفعاله كما يرى "مالينوفسكي" أن القيمة هي "ارتباط قوى و حتمي بين الكائن الحي (الإنسان) وبعض الأهداف والمعايير والأشخاص المعنيين الذين يعتبرون وسيلة لإشباع حاجات الكائن الحي⁸.

إن التعريفات المشار إليها اتفقت في أن القيم أفكار ، وتصورات وأحكام ودوافع ، وأنها في الغالب تعبر عن شيء إيجابي مرغوب فيه و لها دور في التأثير على قرارات واختيارات الإنسان ، وأنها معايير وقوانين متعارف عليها اجتماعيا أي موضوعة بواسطة المجتمع ، كما تختلف من مجتمع لآخر ومن جماعة لأخرى في ذات المجتمع ، وهي بصفة عامة هي توجهات للسلوك الإنساني ، ولم تشير أي من تعريفات القيم أن هناك قيما سلبية غير مرغوبة ، وان هناك عوامل أخربخلاف القيمتؤثر على اختيارات الإنسان كالظروف البيئية والسياسية والاقتصادية... الخ ، فالقيم أحد العوامل المؤثرة في اتخاذ القرارات المتعلقة بأهداف الإنسان والمجتمع عموما ، كما لم تشير التعريفات إلى أن القيم رغم قوتها الاجتماعية وكونها ملزمة بحكم العادة والعرف والتقليد لا بحكم القانون الرسمي ، كما لم تشير التعريفات إلى ما قد يطرأ على القيم من تغير ، باعتبارها تستغرق فترة زمنية طويلة حتى تتغير باعتبارها من عناصر الثقافة المعنوية التي تتغير بمعدل أبطأ من تغير الثقافة المادية كالتكنولوجيا مثلا⁹.

وعليه وضع التعريف الإجرائي التالي : تعبر القيم عن مجموعة من الموجهات والمحددات التي تحكم افراد المجتمع ، و تتعلق أساسا بمجموعة من السلوكات والاعتقادات ، وتحكم علاقة الإنسان بذاته وبالأخر وتنعكس في السلوك العام للمجتمع.

ثانيا : الأسرة الجزائرية كنموذج للتغير الاجتماعي:

تعتبر الأسرة نسقا جزئيا من أنساق المجتمع الكلي أي النسق الأكبر، لذلك فهي تتأثر بما يحدث في المجتمع من تغيرات وتحولات، وبالتالي فإن الحديث عن الأسرة الجزائرية يقودنا إلى التركيز على أبرز التغيرات التي شهدتها المجتمع الجزائري. إن أهم ما يميز المجتمع الجزائري عبر مراحل التاريخ وجود محطات أثرت على بنيته الاجتماعية كالمرحلة العثمانية و المرحلة الاستعمارية. فالمجتمع الجزائري قبل الاستعمار كان يتكون من مجموعة من القبائل والعشائر وعلى رأس كل قبيلة أو عشيرة شيخ يوقره ويحترمه بقية الأفراد. حيث يقوم الشيخ بتنظيم شؤون القبيلة ويسهر على وجود الاستقرار، ومع دخول الاستعمار أدى إلى حدوث تغيرات على المجتمع حيث حاول الاستعمار محو الهوية الوطنية وتفكيك نظام القبائل لإضعاف علاقات القرابة وقتل الروح الجماعية فأدى ذلك إلى تلاشي الملكية الجماعية وانتشار الملكية الفردية وانتقل المجتمع الجزائري من نظام عشائري إلى نظام عائلي تطغى عليه شكل الأسرة الممتدة¹⁰

يمكن تعريف الأسرة على أنها البيئة الأولى التي تحتضن الطفل بحيث تقوم بغرس العقائد والعادات والتقاليد والقيم والتراث الاجتماعي، وذلك من خلال وظائفها الدينية، الاقتصادية، الاجتماعية والتربوية، فهي مدرسة الفرد الأولى التي يتلقى فيها مبادئ التربية الاجتماعية والسلوك وأداب المحافظة على الحقوق والواجبات، هذا فضلا عن العادات والتقاليد التي تربط بعضهم ببعض، ثم تربطهم بالتالي بالمجتمع الذي يعيشون فيه. وفي حديثه عن تعريف الأسرة وبالأخص عندما يتعلق الأمر بالأسرة العربية يرى "عنصر العياشي" أن هذا التعريف جد معقد ويتطلب دراسة عميقة من أجل تحديد المفهوم ودلالته إذ يجب التفريق بين مفهوم الأسرة ومفهوم العائلة لأن لكل مفهوم دلالة فالأسرة حسب "طاهر لبيب" أو "هشام شرابي" تشير إلى أصغر وحدة اجتماعية في سلم النسب في حين مصطلح العائلة يشير إلى الجماعة القرابية الكبيرة أو العائلة الممتدة¹¹.

وما يميز المجتمع الجزائري أنه مجتمع لطالما ضم النمطين معا بحيث يمكن ملاحظة تواجد النمط الأسري النووي وكذا الممتد في نفس الحيز الجغرافي، الحضري أو حتي الريفي رغم التراجع النسبي للأسر الممتدة مقارنة بالنوعية التي سجلت تزايداً مستمرا في فترة ما بعد الاستقلال، كذلك دراسة هذا الموضوع في المجتمعات العربية هو أكثر تعقيدا مقارنة بالمجتمعات الغربية، فالحيز الفاصل بين الأسرة والعائلة غير واضح المعالم ومعقد في بعض الأحيان، إذ أن التحولات الاجتماعية والاقتصادية وحتى الثقافية التي غيرت من المشهد الأسري في الغرب لم تكن نفسها في المجتمع الجزائري و الانتقال من نمط العائلة إلى الأسرة في الغرب ليس له نفس الوقع على بنية ووظيفة الأسرة لو قارناه في مجتمع مثل المجتمع الجزائري و حتى لو أقررنا أن هناك عوامل ساهمت في انتشار النمط الأسري النووي في المجتمعات الغربية كالصناعة أو التمدن، أو عوامل التحضر فإنه يبقى من الصعب مقارنة الأسرة النووية الجزائرية بمثلها في الغرب لاختلاف البيئة الاجتماعية، الثقافية، والمنظومة القيمية الخاصة بكل مجتمع، لذلك فإن تحول الأسرة يبقى مرهون بهذه العناصر فالتشابه يكون من حيث الشكل أكثر منه في المحتوى، فتحول الأسرة في الغرب هو "تحول قطيعة"، لأن بنية الروابط تغيرت تبعا لتغير النمط الأسري، ولعل هذا هو الاشكال القائم في تغير الأسرة الجزائرية التي رغم تحولها في الشكل لا تزال مواضع السلطة، الحرية، الديمقراطية، المساواة الاستقلالية... الخ مطروحة في العلاقات القائمة بين أفراد الأسرة¹²

وبالرجوع إلى الأسرة الممتدة العائلة وفي حال انطلقنا من النظرية التطورية سنجد أن الأسرة الممتدة هي سابقة للأسرة النووية وأن هذه الأخيرة هي فقط تحول للأسرة الممتدة وتقلص في حجمها نتيجة التحولات والتطورات التي مست المجتمع، وتعتبر هذه النظرية وأفكارها أساس معظم الدراسات العربية حول موضوع الأسرة، و تجد مرتكزا الأساسي في رصد المراحل التي تمر بها الأسرة في صيرورة خطية للتحول بطريقة تجعل تلك المراحل إطارا مرجعيا لا غنى عنه أي

اعتبار الأسرة الممتدة بمثابة الشكل الأولي أو البدائي للبناء الأسري في المجتمع و الأنماط الأخرى للأسرة التي ظهرت فيما بعد ما هي إلا نتائج للتحويلات التي مست المجتمع و أفرزت نماذج جديدة منبثقة عن الأسرة الممتدة . و هناك إجماع على أن الأسرة الممتدة هي أسرة يرتبط فيها الأفراد بعضهم البعض من خلال أصل قرابي واحد، وتحتوي على نماذج من الأسرة النواة، بحيث يعرفها "روسروهاريس" بأنها علاقة معينة بين مجموعة من الأفراد تربطهم المودة و التراحم من خلال الزواج والانجاب، وهي أوسع من الأسرة النواة، بحيث تمتد لثلاثة أجيال بدءا من الأجداد وحتى الأحفاد.¹³ وهذه الأسر هي جماعة متضامنة تعتمد على الملكية عامة، و السلطة فيها لرئيس الأسرة أو الجد الأكبر وهذا النمط الأسري غالبا ما ينتشر في المناطق الريفية أو القرى مقارنة بالمدينة والمناطق الحضرية . لكن النظرية التطورية هذه لاقت نقدا كبيرا نتيجة الدراسات الديموغرافية التي أثبتت أن النمط الأسري الممتد و النووي هما نمطان لبناء أسري لطالما وجدا معا عبر كل الحقب الزمنية، فحتى المجتمعات الصناعية المتحضرة، والتي شجعت فكرة الأسرة النووية هي الأخرى لا تخلوا من وجود الأسرة الممتدة. وما يهمنا في هذا الانتقال من النمط الأسري الممتد الى النمط الأسري النووي لم يكن التغير في الحجم أو في عدد الأفراد المكونين للأسرة بقدر ما يصاحب هذا التغير من آثار على الروابط الأسرية وبنيتها، وكذا تأثير القيم بالأسرة، فلو انطلقنا من فكرة أن التغير الاجتماعي هو بمثابة حتمية فان كل ما يرتبط بالأسرة في عملية تغييرها عرضة للتغير وهنا قد يظهر الاشكال الحقيقي عندما يتعلق الأمر بالقيم، بحيث تعتبر هذه الأخيرة أساس بناء الروابط الأسرية بين أفراد الأسرة و على ضوءها تتحدد قوة العلاقات الأسرية وديمومتها، و تغيير في القيم سيكون أثره كبيرا على الحياة الأسرية.¹⁴

ان فترة ما بعد الاستقلال شهدت عدة أحداث وتطورات من بينها إجراءات تصبو إلى تغيير المجتمع عموما والوسط الاجتماعي الريفي خصوصا، إذ توسع نظام التربية والتعليم بوتيرة سريعة، إضافة إلى نمو و توسع المشاريع العمرانية في مناطق جغرافية مختلفة، كما تم وضع استراتيجية جديدة للتنمية الريفية في إطار التخطيط العمراني "القرى الاشتراكية" والثورة الزراعية لضمان الاستقرار وفرص التشغيل، كما انخرط أفراد العائلة في تخصصات مهنية عن طريق التكوين المهني ثم امتهان بعد ذلك لوظائف متنوعة حيث كانت تهدف من وراءها لترقية الحياة الاجتماعية لأفراد المجتمع ومن ثم تحسين الظروف المعيشية للأسرة.¹⁵

ثالثا : منظومة القيم في الاسرة الجزائرية :

عتبر الأسرة المؤسسة الاجتماعية الأولية في انتقال القيم و إعادة انتاجها فالنموذج الأسري التقليدي بنمطه الممتد يعمل على الحفاظ على نظام قيمه السائدة من خلال ابقائه و حفاظه على مبدأ التراتبية القائمة و مبدأ السلطة الذي يساهم بشكل كبير في تعديل و تنظيم العلاقات بين الآباء و أبنائهم، بين الرجال و النساء و بين الاخوة الكبار و الصغار، و هذه المصادر التي تعتبر خزان قيم الأسرة الممتدة، وبحسب الدراسات تبقى سائدة حتى في الأسر النووية التي تعتبر نتاج لتحويلات يمكن وصفها بالحضرية بحيث لا يزال الدين و الأعراف و التقاليد مصادر أساسية لهذا النموذج الأسري على الرغم من التحويلات التي كانت عرضة لها، وهذا يختلف عما هو سائد في المجتمعات الغربية التي نتج عن ظهور الأسرة النووية قطيعة مع هذه المصادر التقليدية فلم يعد للدين أو التقاليد دورا هاما في التأثير على بنية ووظيفة الأسرة، فالروابط الأسرية صارت تحكمها قيم أخرى مختلفة مصدرها الحرية، العدالة، الاستقلالية، المساواة، المبادرة....وهي قيم ترمز الى مخلفات النمو الحضاري، الثقافي، الفكري، الذي مس هذه المجتمعات و الحياة الاجتماعية، والأسرية على الخصوص.¹⁶

هذه القيم على اختلاف مصادرها تبقى ذات وظيفة أساسية تتمثل في الحفاظ على التوازن الأسري والحرص على أن تقوم الأسرة بالدور المنوط بها دون الإخلال بما هو سائد في المجتمع ، ففي المجتمعات التقليدية وبنظام قيمه السائد تسعى القيم ليس فقط للحفاظ على البنية الأسرية ووظائفها بل العمل على إبقاء ما هو سائد، لذلك تصعب مثل هذه القيم عملية التغير داخل الأسرة و نقصد بالتغير على المستوى السلوكي والذهني لأفرادها، لذلك غالبا ما ترتبط القيم الموجودة في الأسرة بالدين و غالبا ما يسودها الطابع القدسي ما يصعب على الأفراد مواجهتها أو انكارها كذلك و حتى تحافظ هذه القيم على تواجدها في الأسرة أنتجت آليات و معايير لهاذا الغرض، من محرمات و ممنوعات و طابوهات ، لذلك قد ينتقل العقاب الرمزي من الوسط الأسري الى الوسط الاجتماعي ليتحول الى عقاب اجتماعي يصعب تفاديه، هذا ما يدفع الأفراد الى الامتنال لمثل هذه القيم.¹⁷

وعلى الرغم من اعتبار التحولات الاجتماعية مصدر أو عامل فعال في التأثير على القيم السائدة في المجتمع بصفة عامة و الأسرة بصفة خاصة من خلال تفهقر قيم وصعود أخرى أو ظهور قيم جديدة واختفاء أخرى، الا أنه لا يجب انكار دور هذه القيم السائدة في المجتمع أو الأسرة في عملية التغير الاجتماعي بحيث تتحول هذه القيم اما معيق لسير و ديناميكية عملية التغير الاجتماعي أو محفز لذلك، فتمسك الأسر في المجتمعات التقليدية بقيم تقليدية ورفضها التخلي عنها تحول مع مرور الوقت الى عائق كبير في تغير المجتمع من خلال اختلاق آليات اجتماعية و ثقافية تهدف الى الحفاظ على ما هو سائد عن طريق استغلال عملية التنشئة الاجتماعية أو الضبط الاجتماعي و حتى العقاب الاجتماعي، وظيفتها اختلاق الحواجز والمعوقات في وجه أي مبادرة لتغيير ما هو سائد، و محاولة المحافظة عليه، وفي وجود مظاهر التغير أنتجت صراعا بين هذه القيم التقليدية و قيم جديدة أنتجها هذا التغير أصبح يعرف بصراع الأجيال بحيث يحمل كل جيل قيما متناقضة، وعلى العكس من ذلك فقد تتحول الأسرة بما تحمله من قيم الى محفز فعال في عملية التغير الاجتماعي، بحيث تجعل هذه الأسرة من قيمها وسيلة للوصول الى أهدافها فانتشار قيم مرتبطة بالحرية و الاستقلالية و النجاح و التدرج الاجتماعي و المساواة غالبا ما تنتشر في المجتمعات المتقدمة التي تتميز بديناميكية كبيرة، بحيث لا يوجد عائق أمام طموح أفراد الأسرة، والوصول الى أهدافهم مرتبط فقط بالإمكانات المتاحة لذلك، فحاليا صار الحديث عن ثنائية ما هو "ممكّن / غير ممكّن " بدلا من فكرة ما هو "مسموح / غير مسموح " أي كل ما هو ممكن تقنيا يبقى مسموح حاليا ، بعبارة أخرى فان الأفراد في المجتمعات التقليدية لا يزالون خاضعين لفكرة ما هو مسموح و ما هو غير مسموح بحيث أن طموح الفرد في الوصول إلى أهدافه حتى وإن كانت تلك الأهداف تخدمه، ترغمه على مراجعة شرعيته في إطار ما هو متعارف عليه في مجتمعه وهل هذه الطموحات و الأهداف تخدمه، ترغمه على مراجعة شرعيته في إطار ما هو متعارف عليه في مجتمعه و هل هذه الطموحات و الأهداف تتعارض مع القيم والمعايير السائدة أم لا، لذلك و مع كثرة الممنوعات و الطابوهات و المحرمات في المجتمعات التقليدية، فان هامش حرية الأفراد في السلوك يبقى محدود و سبل الوصول إلى الأهداف يبقى هو الآخر ضيق، بحيث أن القيم السائدة هي التي تحدد طبيعة السلوك أن كان مقبولا و مسموحا به أم لا، لذلك يميل الأفراد إلى التخلي عن الكثير من طموحاتهم و سلوكياتهم ليس لأنهم يرونها غير سوية بل لأنهم يدركون عواقبها الاجتماعية¹⁸

فالملاحظ أن دور الأسرة التي تعتبر وحدة انتاجية بيولوجية قد تراجع وخضع هو الآخر تحت طائلة العبء الاجتماعي مما جعله يهدد كيانه ويعطل دورها الطبيعي في أداء مهمتها ووظيفتها التربوية والاجتماعية وجعل الأسرة تعاني من التفكك المادي والمعنوي ، حيث عانت الأسر في وقتها الحاضر من التفكك الضمني الذي خلق فجوة بين كل من الآباء والأبناء ، ما جعل هؤلاء الأبناء يفتقدون للتحصين الذاتي للإجرام في ظل افتقارهم لأساليب التنشئة الأسرية السليمة ومعاناتهم من الحرمان العاطفي وعدم امتلاكهم لسبل التكيف الاجتماعي والكفاءة الاجتماعية

رابعاً: العوامل المؤثرة في تغير قيم الأسرة الجزائرية:

لقد عرفت المجتمعات بصفة عامة والمجتمع الجزائري بصفة خاصة تراجعاً في منظومة القيم الأصلية بسبب التغير الاجتماعي في جميع المجالات خاصة في ظل العولمة بآلياتها المعاصرة، فشكل نوعاً من ازدواجية الثقافية التي تجتمع فيها تناقضات الأصالة والمعاصرة مما يؤدي إلى تغير ملامح الثقافة الأصلية التي هي محور قيم تلك المجتمعات.

1- العوامل القيمية¹⁹:

لقد بينت بعض الدراسات السوسيولوجية إلى أن ظهور العلاقات الرسمية التعاقدية أثر في طبيعة العلاقات القيمية القربانية التي تراجعت عما كانت عليه في الأسرة التقليدية التي تتصف فيها العلاقات القربانية بالتماسك القوي، كما فرضت وسائل الاعلام والاتصال نفسها فأصبح لها أدوار لا يستهان بها، وأصبحت وسائل الاتصال إحدى الوسائل القوية للعلاقات الاجتماعية داخل الأسرة، من هنا كان للتطور والتقدم العلمي والتكنولوجي أعظم الأثر على الأسرة وعلى تقلص وظائفها التربوية شيئاً فشيئاً وبالتالي نجد جل هذه الأسباب أدت إلى تغير في وظائف الأسرة، ومن أهم عوامل التحول في منظومة القيم داخل الأسرة الجزائرية نجد:

أ- التغير الاجتماعي:

تشير إلى أوضاع جديدة تطرأ على البناء الاجتماعي والنظم والعادات وأدوات المجتمع، نتيجة لتشريع أو قاعدة جديدة لضبط السلوك أو نتيجة لتغيير إما في بناء فرعي معين أو جانب من جوانب الوجود الاجتماعي أو البيئة الطبيعية والاجتماعية. و بالتالي التغير الاجتماعي هو ذلك التغير في الأدوار التي يتقمصها الأفراد داخل المجتمع من زمن لآخر، وكذلك التنظيمات والمؤسسات داخل المجتمع، وما يطرأ على هذه الأدوار من تغيرات، وهو يخضع لعدة عوامل متداخلة منها السياسية الاقتصادية والثقافية، كما تؤثر التغيرات الاجتماعية التي تحدث في المجتمع على الأسرة بشكل مباشر من حيث وظائفها في الحياة وتطلعاتها، و نمط العلاقات بين أفرادها وتوزيعها لدخلها، و ظهرت مؤسسات متخصصة في المجتمع ساعدت الأسرة في الكثير من الوظائف التي كانت تؤديها من قبل، و من جراء هذا التغير أصبحت الأسرة تختلف عما كانت عليه في الماضي، و بالتالي مفهوم الأسرة كشكل من أشكال التفاعل انتابه الكثير من التغيير في الأدوار و الوظائف خلافاً لما كان متعارف عليه في الماضي.

ب- التغير في أنماط الأسرة:

لقد تأثرت الأسرة بالتغيرات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية التي شهدتها المجتمع مما أدى إلى تغير بنائها وانكماش وظائفها مما جعل أنماطها تتعدد بتعدد المجتمعات والأزمنة أيضاً، من خلال العادات والتقاليد والعرف الخ، أي باختلاف الأنماط الثقافية والاجتماعية للمجتمع. ومن حيث الحجم نجد أن الأسرة النواة كبديل للأسرة الممتدة، ومن خصائصها صغر الحجم، كما تتميز باستقلالها الاقتصادي، غياب تأثير الأقارب إضافة إلى ضعف العلاقات القربانية ويعود شيوع هذا النوع من الأسرة إلى سيطرة النزعة الفردية كالمليكية وكذلك شدة الحراك الجغرافي والاجتماعي.

ج) خروج المرأة للعمل:

أدى خروج المرأة للعمل إلى خلق تحولات وتغيرات عديدة، حيث تأكد إحدى الدراسات على أن عمل الأم يؤدي إلى تغير في نظام الأسرة لأن المرأة العاملة تجبر أسرتها على اتباع نظام صارم، هذا النظام ناتج عن ضيق وقت المرأة العاملة، حيث أن قيامها بدورين اجتماعيين جعل وظيفتها مزدوجة مما جعلها لا تستطيع أن تفي باحتياجات أسرتها، و بالتالي فإن المرأة العاملة أصبحت لديها ازدواجية في الأدوار من ناحية هي أم وزوجة ومن ناحية أخرى هي صاحبة وظيفة وعليها أن توفق

بين هذه الوظائف لأن عملها المهني يعتبر كوظيفة ثانية يضاف الى عملها الطبيعي المتمثل في الانجاب و التربية و الاعمال المنزلية.

2- العامل السكاني والديموغرافي:

يمكن أن نرجع عامل السكان المؤثر في تغير الأسرة إلى عناصر مختلفة منها : كثافة السكان، حجم السكان وحجم الجماعات أو المجتمعات، ومعدلات المواليد، والوفيات، الهجرة الداخلية والخارجية واستحداث مناطق جديدة للعمران ، والسكن، والعلاقات الاجتماعية ونسبة الأطفال والشباب والشيوخ إلى سكان المجتمع، وأثر ذلك في العمل والإنتاج وفي الاقتصاد الوطني وغير ذلك من المؤشرات الديموغرافية التي تأثر بشكل مباشر وغير مباشر في تغير تركيبة الأسرة والجماعات الأسرية، من أسرة حاضنة لمجموعة من العائلات إلى شكل الانفصال والتجزئة الداخلية للعائلة الكبيرة وبروز عائلات صغيرة، وهنا تظهر ما يعرف سوسيولوجيا بالعائلة النووية داخل المجتمع . ولقد أدى تحول الأسرة من أسرة ممتدة إلى نووية، إلى حدوث انفصال كامل بين أسرتي التوجيه والانجاب لأن الفرد حين يتزوج، وينفصل عن أسرته و يكون أسرة زواجية خاصة به، أما في الأسرة الممتدة فإن الأسرتين تتداخلان معا، وتكونان أسرة واحدة.²⁰

3- العامل الاقتصادي:

لقد أثر التغير الاقتصادي في جميع النظم، والمؤسسات الاجتماعية في كل المجتمعات تاركا سماته البارزة وبخاصة التصنيع على جميع مناحي الحياة، ولقد كان النظام الأسري أشد النظم الاجتماعية تأثرا بهذا التغير وذلك لشدة ارتباط الواحد بالآخر نتيجة وجود علاقات قوية متبادلة بينهما، فالأسرة تمد الميدان الاقتصادي بالأيدي العاملة، كما تعتبر المستهلك الأول لما يظهر في الميدان من سلع وخدمات، كما تعد ظاهرة خروج المرأة للعمل أبرز ظاهرة اجتماعية في العصر الحديث ، حيث كان لها الأثر الكبير على الناحية الاقتصادية للمجتمع.²¹

إن البناء الأسري عرف في القرنين الأخيرين داخل المجتمعات الغربية تغيرا نتيجة التصنيع الحديث والتحضر السريع، والهجرة الداخلية من الريف إلى المدينة أو الهجرة الخارجية وبالأخص الهجرة إلى العالم الجديد؛ هذا التغير يراه الكثير من علماء الاجتماع أنه يمس جميع المجتمعات التقليدية في البلدان النامية التي تتجه نحو التصنيع والتحديث، ففي هذا الصدد يرى "جود" أن نسق الأسرة النووية أو الزوجية سوف ينتشر في المجتمعات التقليدية التي تنشأ فيها الصناعة و تشيع فيها الحياة الحضرية العصرية، ويعتقد أن إيديولوجية هذا الشق تقوم على علاقة متوازنة ومحدودة بين أقارب الزوج والزوجة، وعلى سلطة محدودة نسبيا للأباء على الأبناء وللأزواج على الزوجات، كما يرى أن ثمة ميلا إلى المساواة بين الجنسين في كل المجالات²²

إنّ هذا التغير الملحوظ في الأسرة الجزائرية كان نتيجة التحولات الاقتصادية والاجتماعية التي شهدتها الجزائر وخاصة في الفترة غداة الاستقلال إلى بداية الألفية الثالثة.

4- العامل الأيديولوجي:

يعني العامل الأيديولوجي النظام الفكري والعاطفي الشامل الذي يعبر عن مواقف من العالم والمجتمع، والإنسان ، وقد طبق هذا المفهوم بصورة خاصة على الأفكار ، والعواطف والمواقف السياسية التي هي أساس العمل السياسي، وأساس تنفيذه وشرعيته، إن دور الأيديولوجيا في تغير الأسرة يظهر بوضوح في ارتفاع مستوى رعاية الأطفال في المجتمعات الحديثة الذين يحصلون على رعاية فائقة، وخدمات متعددة لم يتيسر لهم الحصول عليها من قبل ، ويمكن تفسير ارتفاع رعاية الأطفال حاليا في ميل الأسرة إلى أن تكون جماعة تربطها المحبة، والعلاقات الشخصية.²³

إن المجتمع الجزائري يوعى على غرار كافة المجتمعات تمر بالعديد من المراحل، وعرف الكثير من التغيرات في مختلف المجالات لتواكب البناء والتطور. إنطلاقاً من هذا المنطلق، يتجلى هذا من الاقتصاد والعلوم الاجتماعية والسياسية وحتماً الثقافي، وأثر تكيفها والتغيرات التي تدور حولها علم منظومة القيم في المجتمع الجزائري، ويتجلى هذا من خلال ما نلاحظه اليوم من غياب بعض القيم التقليدية وظهور قيم مغربية غريبة عن المجتمع الجزائري لا تمت بصلة لانتماءاته وأثقافته. وتتجلى أهم التغيرات التي حدثت في هذا المجتمع وأثر تغير منظومة القيم بالأخذ بالسياق السوسيولوجي - تاريخي الذي أكد عليه "كارل ماركسهايم" في دراسة الظاهرة الاجتماعية وهذا باعتبار القيمة ظاهرة اجتماعية في ما يلي:

- بما أننا للأسف -
هيا هم مؤسسة في المجتمع والخلية الأساسية في بناءه يجب التركيز عليها وعلى أهم التغيرات التي تمسها هذه الأخيرة وأثر تدور حولها علم منظومة القيم، حيث أننا للأسف الجزائري عرفنا العديد من التغيرات التي علمت ستواي الحجم والشكل فانتقلت من الأسس الممتدة إلى الأسرة النووية، وظهور تلد بالآباء مجموعة من الآراء والقيم تختلف عن تلك التي حصل عليها الآباء في ظل هذه الظروف، وهذا ما أحدث تغيراً في نموذج العلاقة بين الآباء والأبناء، إضافة إلى أن القوانين الوضعية أيضاً تأثرت بالتغير الذي حدث في علم ستواي الأسرة، الأمر الذي انعكس سلباً على الكثير من العلاقات الاجتماعية خاصة الزواجا فانتشرت ظاهرة الطلاق بشكراً هيبوصلت إلى أكثر من 61 ألف حالة طلاق في السنة الواحدة، كما انتشرت ظاهرة الخلع في المجتمع الجزائري بشكل غير مسبق.²⁴

من خلال دراسة وتحليل التحول في القيم الأسرية يتضح أن الأسرة الجزائرية فقدت العديد من الخصائص والسمات التي كانت تتميز بها سابقاً، فالأسرة الجزائرية هي في تحول مستمر، وما يصاحب هذا التحول من تغير في طبيعة العلاقات، الأدوار، الوظائف، الضبط، الرقابة، والسلطة داخل الأسرة، من شأنه التأثير على القيم الأسرية كقيم الجماعة، والقيمة المتعلقة بالسلطة الأبوية. كما أن الارتفاع الكبير والمستمر في متوسط سن الزواج في الجزائر بعد الاستقلال، ووصوله إلى مستويات قياسية عند كلا الجنسين، يشكل مؤشراً قوياً عن تراجع قيمة الزواج المبكر، بعدما كانت تشكل قيمة أساسية في الأسرة الجزائرية التقليدية.

فضلاً عن ذلك يشهد المجتمع الجزائري انحساراً كبيراً للقيم المجتمعية المشجعة على كثرة الإنجاب، فلم تعد الأسرة الجزائرية تفضل إنجاب أطفال كثيرين، وعليه نستخلص مما سبق أن التحولات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي عرفها المجتمع الجزائري بعد الاستقلال، قد تركت أثراً الواضحة والعميقة في المجتمع بصورة عامة والأسرة بصورة خاصة. فقد تغيرت المميزات التقليدية التي كانت تتصف بها العائلة الجزائرية التقليدية كتركيبها ووظائفها والقيم المميزة لها، لذلك يمكن القول أن منظومة القيم الاجتماعية في الأسرة الجزائرية، تميل إلى التغير في اتجاه التخلص من القيم التقليدية واكتساب القيم الحديثة المصاحبة للتحديث والعولمة.²⁵

لقد شهدت الأسرة الجزائرية عبر فترات عديدة العديد من التغيرات البنائية والوظيفية أثرت بشكل مباشر وغير مباشر على منظومة القيم داخلها، وأصبحت تتميز بخصائص فرضتها التغيرات الاجتماعية والاقتصادية وكذا التطور التكنولوجي السريع الذي ميز المجتمعات بصفة عامة.

خلاصة:

إن التغيرات التي مست المجتمع الجزائري عموماً والأسرة على وجه الخصوص كان لها الأثر الكبير على القيم المرتبطة بهذه الأخيرة، وأن انتقال الأسرة من شكلها الممتد التقليدي إلى شكلها النووي المعاصر أظهر طبيعة هذه التغيرات و

شدتها، بحيث أصبحت الأسرة الجزائرية تمثل نموذج مميز يجمع بين قيم تقليدية، وقيم أخرى يمكن وصفها بالعصرية هذه التناقضات أنتجت ظواهر جديدة محورية و أدت الى بروز مفاهيم جديدة كصراع القيم وصراع الأجيال وغيرها، وأثرت على تماسك الأسرة الجزائرية بصفة عامة.

قائمة الهواميش :

- 1- ماجد الزيود: الشباب والقيم في عالم متغير، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان ، الأردن، 2006 ، ص 21.
- 2- المرجع السابق، ص 21
- 3- المرجع السابق ، ص ص 21-22
- 4- سلوى السيد عبد القادر: الأنثروبولوجيا والقيم ، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2010، ص 211.
- 5- المرجع السابق ، ص 211
- 6- المرجع السابق ، ص 211-212
- 7- المرجع السابق ، ص 212
- 8- المرجع السابق ، ص 212
- 9- المرجع السابق، ص 212-213
- 10- ابراهيم شرع الله: دور العوامل السوسيوثقافية في تأسيس الثقافة المجتمعية لدى الشباب ، مجلة الشباب والمشكلات الاجتماعية، جامعة سوق أهراس ، الجزائر ، العدد الأول ، جانفي 2013، ص 221
- 11- فيصل بوطوب: الأسرة والقيم - مقارنة سوسيولوجية لمسألة تغير القيم في الأسرة الجزائرية، مجلة آفاق فكرية، العدد السادس، شتاء 2017، ص 12
- 12- المرجع السابق، ص ص 12-13
- 13- المرجع السابق، ص 13
- 14- المرجع السابق، ص 13
- 15- عمار هلال : أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1982، ص 124.
- 16- فيصل بوطوب: مرجع سابق ، ص 14
- 17- المرجع السابق ، ص 15
- 18- المرجع السابق، ص ص 15-16
- 19- نور الدين زمام، سميرة ونجن: عوامل التحول في الوظيفة التربوية للأسرة، مجلة التغير الاجتماعي، مخبر التغير الاجتماعي و العلاقات العامة، جامعة بسكرة ، العدد، 5 فيفري 2018، ص ص 73-93
- 20- هشام سبع: مكانة المسن في الأسرة الجزائرية بالوسط الحضري في ظل التغيرات الاجتماعية الراهنة ، دراسة ميدانية على عينة من الأسر بالشرق الجزائري، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة محمد لمين دباغين سطيف 02، 2016-2017، ص ص 87-88
- 21- المرجع السابق ، ص 88
- 22- مريم بن عالية : وضع الأسرة الجزائرية ووفيات الرضع والأطفال- دراسة ميدانية بدائرة قسنطينة، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة عنابة، 2014-2015، ص 53

- 23- هشام سبع: مرجع سابق ، ص 89
- 24- أحلام بلمادي: سوسيولوجية القيم والتغير القيمي في المجتمع الجزائري، مجلة الحكمة ، المجلد 4، العدد 7، 2016، ص ص 102-121
- 25- حسنا تريكي: تغير القيم الأسرية في المجتمع الجزائري المعاصر : دراسة تحليلية، مجلة الرواق، مخبر الدراسات الاجتماعية والنفسية والأنثروبولوجية، المركز الجامعي غليزان، الجزائر، العدد 09 ديسمبر 2017، ص ص 77-102.

قائمة المراجع والمصادر:

أولا: الكتب باللغة العربية:

- 1- سلوى السيد عبد القادر: الأنثروبولوجيا والقيم ، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2010
- 2- عبد الخالق محمد عفيفي : الخدمة الاجتماعية المعاصرة ومشكلات الأسرة والطفولة ، مكتبة عين شمس ، القاهرة ، 1999
- 3- عمار هلال : أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1982
- 4- فاطمة منتصر الكتاني : الاتجاهات الوالدية في التنشئة الاجتماعية وعلاقتها بمخاوف الذات ، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان ، 2000،.
- 5- ماجد الزيود: الشباب والقيم في عالم متغير، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان ، الاردن، 2006
- 6- جرجس ملاك : المشاكل النفسية للطفل وطرق علاجها ، دار المعارف ، القاهرة ، 1990
- ثانيا: المقالات العلمية:
- 7- ابراهيم شرع الله : دور العوامل السوسيوثقافية في تأسيس الثقافة المجتمعية لدى الشباب ، مجلة الشباب والمشكلات الاجتماعية، جامعة سوق أهراس ، الجزائر ، العدد الأول ، جانفي، 2013، ص 221
- 8- فيصل بوطوب : الأسرة والقيم -مقاربة سوسيولوجية لمسألة تغير القيم في الأسرة الجزائرية، مجلة آفاق فكرية، العدد السادس، شتاء 2017
- 9- نور الدين زمام، سميرة ونجن: عوامل التحول في الوظيفة التربوية للأسرة، مجلة التغير الاجتماعي، مخبر التغير الاجتماعي والعلاقات العامة، جامعة بسكرة ، العدد 5، فيفري 2018، ص ص 73-93
- 10- أحلام بلمادي: سوسيولوجية القيم والتغير القيمي في المجتمع الجزائري، مجلة الحكمة ، المجلد 4، العدد 7، 2016، ص ص 102-121
- 11- حسنا تريكي: تغير القيم الأسرية في المجتمع الجزائري المعاصر : دراسة تحليلية، مجلة الرواق، مخبر الدراسات الاجتماعية والنفسية والأنثروبولوجية، المركز الجامعي غليزان، الجزائر، العدد 09 ديسمبر 2017، ص ص 77-102.
- ثالثا: المدكرات والرسائل الجامعية:
- 12- حسن يوسف : دور التربية الأسرية في بناء منظمة القيم الاجتماعية- دراسة ميدانية في محافظة اللاذقية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية بجامعة دمشق ، 2006

- 13- مريم بن عالية: وضع الأسرة الجزائرية ووفيات الرضع والاطفال -دراسة ميدانية بدائرة قسنطينة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة عنابة، 2014-2015
- 14- هشام سبع: مكانة المسن في الأسرة الجزائرية بالوسط الحضري في ظل التغيرات الاجتماعية الراهنة، دراسة ميدانية على عينة من الأسر بالشرق الجزائري، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة محمد لمين دباغين سطيف 02، 2016-2017.